الوحي لغير الأنبياء
أنواعه وأحكامه

Revelation to non-prophets, its types and rulings

م.د رعد عبد الله فياض

كلية السلام الجامعة

Dr. Raad Abdullah Fayyad

Raad.a.fayyadh@alsalam.edu.iq

ملخص البحث

يتلخص موضوع بحثنا حول «الوحي لغير الأنبياء» وما يتعلق به من أحكام وتفسيرات وبيّنا اختلاف المفسرين في تفاسيرهم لتحديد معنى هذا الوحي من خلال التعريف الشرعي للوحي منحدر عن الأصل اللغوي في خصوصية الإسرار والإعلام السريع وما يصاحب ذلك من الإشارة والرمز اللذين يخفيان على الآخرين، والوحي على نوعين إما الوحي للعاقل وهم صنفان الأنبياء والملائكة، والوحي الى الأنبياء له صورة من الصور الثلاثة التي ذكرتها آية الشورى، وهي: عن طريق الملك، أو الكلام من وراء حجاب أو إلهاما.

لذا اقتضى الموضوع أن يقسّم على مبحثين؛

المبحث الأول خصصته للبحث في المعنى اللغوي والإصطلاحي للوحي مع بيان أنواعه، وفي المبحث الثاني تكلمتُ عن أنواع الوحي لغير الأنبياء مبيّناً معاني هذه الأنواع، ثم الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: وحي، غير الأنبياء.

ABSTRACT

The topic of our research is about «revelation for non-prophets« and related judgments and interpretations, and we showed the difference of commentators in their interpretations to determine the meaning of this revelation through the legal definition of revelation descending from the linguistic origin in the specificity of the sacrament and rapid information and the accompanying sign and symbol that are hidden from others, and the

revelation Of two types, either the revelation of the rational person, who are the two types of prophets and the angels, and the revelation to the prophets has one of the three images mentioned by the verse of the Shura, which is: through the king, or speech from behind a veil or inspiration.

Therefore, the topic required to be divided into two sections:

The first topic I devoted to researching the linguistic and idiomatic meaning of revelation with an indication of its types, and in the second topic I talked about types of revelation to non-prophets, indicating the meanings of these types, and then the conclusion.

Keywords: revelation, other than the prophets.

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

ظاهرة الوحي من الظواهر التي يعجز العلم عن تفسيرها فلا مصدر للمعلومة عنها غير التشريع وما قالته الكتب السماوية، وهي قد التي تلتقي مع ظواهر علم (الباراسيكلوجي) الإلقاء الخفيّ وإيصال المعرفة دون سلوك الطرق المحسوسة الماديّة وهي مظاهر مشابهة لما يقوم هذا العلم بمحاولات في التفسير للوصول إلى ماهيّته وأشكاله.

ومثل هذه المظاهر كانت الأدلة والمنافذ التي اعتمدها الباحثون والمفسّرون المحدَثون في إثبات ظاهرة الوحي، لتضمنها اتصالاً خفياً خارجياً بين النبي والموحي إليه ولم تكن ظاهرة داخلية تمثل معارفها انعكاساً لحالة النبي النفسية الداخلية كما لم تكن نتيجة لتشنجات وحالات عصبية كالصرع والهستيريا وغيرها كما حاول بعض المستشرقين تصويرها.

فالوحي الإلهي اتصالٌ غير منظورٍ بين ذاتين وعالميْن مختلفين في حقيقته، وهو من الاتصال الخارق التي تسمو فيه النفس النبوية الإنسانية إلى الاتصال بالملإ الأعلى والتلقّي منه، فهي بحدّ ذاتها ظاهرة إعجازية قدمت نماذج من الاتصال الخفيّ عن غير المتلقي له.

أهمية البحث:

تتجلى أهمية معرفة الوحي في خصوصية معارفها التي كان أعظم ما فيها أنّ كمّا هائلا من المعارف يلقى في لحظة خاطفة لا يكاد يكون للزمن فيها تقدير أو وجود، وإنّما هو انتقال للمعرفة من ذات إلى ذات فإن كانت الذات الثانية بشرية فهي خلقٌ ذكي لكن إنْ

كانت غير بشرية فبحثٌ آخر.

منهج البحث:

اتبعتُ منهجاً استقرائياً تفصيلياً مقارناً ترجيحياً ،فقمتُ بجمع الأدلة من مظانّها، ثم قارنتُ بينها ورجحتُ ما بدا لي راجحاً.

خطة البحث:

اقتضى الموضوع أن يقسّم على مبحثين؛

المبحث الأول خصصته للبحث في المعنى اللغوي والإصطلاحي للوحي مع بيان أنواعه.

وفي المبحث الثاني تكلمتُ عن أنواع الوحي لغير الأنبياء مبيّناً معاني هذه الأنواع.

ثم الخاتمة وقد أدرجت فيها أهم نتائج البحث.

ثم المصادر والمراجع.

الباحث

المبحث الأول
الوحي في اللغة والاصطلاح

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي للوحي

الوحي لغةً: يأتي بعدة معان:

١- الإعلام: فأصل الوَحْي في اللغة كلّها إعلامٌ في خفاءٍ، ولذلك صار الإلمامُ يُسمَّى وحْياً. (١)

٢- الإشارة أو الإيماء: يقال وحيْتُ إلى فلان أَحِي إليه وَحْياً وأَوْحَيْتُ إليه أُوحِي إيحاءً: إذا أشرتَ إليه وأومأْتَ. (٢)

٣- الكتاب: وَجَمْعُهُ (وُحِيٌّ) مِثْلُ حَلْيٍ وَحُلِيٍّ. (٣)

٤- الْكَلَامُ الْخَفِيُّ. (٤)

وفي الإصطلاح: هُوَ الْكَلَام الْخَفي يدْرك بِسُرْعَة لَيْسَ فِي ذَاته مركبا من حُرُوف مقطعَة تتَوَقَّف على تموجات متعاقبة. (٥)

---

(١) تهذيب اللغة، للأزهري- أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م: ٥/ ١٩٢، والقاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٩ م: ص/ ٣٧٥.

(٢) تهذيب اللغة: ٥/ ١٩٢، والكليات، للكفوي- أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت: ١٠٩٤ هـ)،تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م: ص/ ٩١٨.

(٣) مختار الصحاح، للرازي-محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٠ هـ) تحقيق: محمود خاطر، مكتبة ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م: ص/ ٣٣٤.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الكليات: ص/ ٩٣٦.

أو هو: الإعْلَامُ بالشَّرْع. [1]

أو هو: ما يلقيه الله تعالى على قلب نبيٍّ من الأنبياء بواسطة ملك أو بغير واسطة ملك. [2]

وفي الاصطلاح القرآني:

لمادة الوحي في القرآن الكريم جميع التصريفات اللغوية، وعبّر عن أغلبها بمعانيها المتداولة، وصبّها جميعا في قوالب جديدة ترابطت فيها المعاني المتعددة، أو انفصلت عن بعضها بعضا، وقد وردت بمعانيها في آياتٍ عديدة، فلما كان الإلقاء إلى النبي ﷺ بواسطة جبريل أو قذفا في الروع أو رؤيا مما خفي على غيره ﷺ فقد عبّر سبحانه عن ذلك بالوحي.

ومن مراجعة ما سبق يتبيّن لنا الصلة الواضحة بين الأصل اللغوي للوحي، والمعنى الإصطلاحي، إذ يتبيّن لنا «أن التعريف الشرعي منحدر عن الأصل اللغوي في خصوصية الإسرار والإعلام السريع وما يصاحب ذلك من الإشارة والرمز اللذين يخفيان على الآخرين»[3]

ويُعرّف الوحي في اصطلاح المفسّرين بأنّه:

ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتابا أي تشريعا يكتب، ومنهم من لم يعطه [4]

---

(١) القاموس الفقهي: ص/ ٣٧٥.

(٢) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس، الظهران، ط ١، ١٤٠٤ ه/ ١٩٨٤ م: ص/ ٥٠٠.

(٣) تاريخ القرآن، د. محمد حسين الصغير، الدار العالمية للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ص/ ٢٥.

(٤) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا(ت:١٩٣٥م)، دار المنار، القاهرة، ط١/ ١٣٦٧هـ:

أو هو: إعلام الأنبياء بما يريد أنْ يُعَلّمهم به من أمور الدين وغيره. (١)

أو هو: إلقاء المعنى إلى النفس خفية وهو على أقسام: وحيٌ بمعنى الإلهام ووحيٌ بمعنى الإعلام في اليقظة والمنام، ووحيٌ بمعنى إرسال جبريلَ إلى الرسل عليهم السلام. (٢)

وأرجَع بعضهم سبب التسمية بالوحي فيما كان إلى النبي ﷺ إلى أنّ المَلَك أسرّه عن الخلق، وخصّ به النبي المبعوث إليه، (٢) ولهذا الوحي ضروب عديدة أجملها قوله تعالى: ﴿ وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾ (٣)

المطلب الثاني: أنواع الوحي

فإذا ما أضفنا الى هذه الضروب ما يتعلق بموضوعنا نجد ضروباً أخرى من أنواع الوحي:

١ – الإلهام الفطري للإنسان كما في قوله تعالى: (وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى)(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ﴾ (٥)

٢– الإلهام الغريزي: (التّسخير) أو التقدير أو النطق، لمن جعله حيا بالنسبة للسماء

ص/ ٣٨.

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م: ١/ ٥٧٥.

(٢) صفوة التفاسير، للصابوني– محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م: ١/ ٣٤٤.

(٣) سورة الشورى، من الآية/ ٥١.

(٤) سورة القصص، من الآية/ ٧.

(٥) سورة المائدة، من الآية/ ١١١.

والأرض، قال تعالى: ﴿ إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها* وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها* وَقالَ الْإِنْسانُ ما لَها* يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها﴾ (١) (٢)

لقد لاحظ الإمام الفخر الرازي أنّ القرآن حين يستخدم الصيغة الفعلية فإنه لا يذكر صيغة «وحى» ومصدرها «وحي» بل يستخدم صيغة «أوحى« ومصدرها «إيحاء«(٣) فكان الوحي للأنبياء، والإيحاء لغيرهم.

فقد ورد ذكر الوحي بلفظه الصريح وبصيغه المتعددة في ثمانية وسبعين موضعا (٤) إضافة الى الكثير من المواضع التي لم يُذكر فيها بلفظه الصريح، كقوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ﴾ (٥)

ونلاحظ مما سبق: إنّ لفظ الوحي يحتمل معنيان: وحياً وإيحاءً فما يختص بما يلقى إلى الأنبياء عليهم‌السلام هو الوحي، وما عداهم إيحاء، قال الرماني: (٦) «لا يجوز أن تطلق الصفة بالوحي إلا لنبي، فإن قيد ذلك على خلاف هذا المعنى كان جائزا»(٧) ووجه عدم

---

(١) سورة الزلزلة، الآيات/ ١-٥.

(٢) ينظر: القرآن والتفسير، د. عبد الله محمود شحاته ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م: ص/ ٩.

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) - فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م: ٢٨ / ٢٨٢.

(٤) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م: ص/ ٧٤٦.

(٥) سورة النحل، من الآية/ ٢.

(٦) أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٣٨٤ هـ) .

(٧) نبوة محمد في القرآن، حسن ضياء الدين عتر، دار النصر، حلب، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م: ص/ ٢٠٦.

تجويزه تعميم صفة الوحي على من ليس بنبي إنّ ما يميز الوحي إلى الأنبياء أنّه يقع على خلاف مجرى العادة بمعجزة تشهد بأنّه تعالى ألقى المعنى إليه فهو إذن وجه من وجوه الإعجاز.

المبحث الثاني
أنواع الوحي لغير الأنبياء

سبق وأنْ أشرنا الى أن الوحي للأنبياء يكون بواحدة من طرقٍ ثلاث، فهو إما أن يكون بصورة مباشرة دون واسطة، بل بالإلهام أو بالتكليم من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء، أما الوحي لغير البشر فلم يتطرق له القرآن الكريم بصورة مفصلة ومباشرة، وأشرنا الى قول الإمام الرازي بأنه إيحاءً لا وحياً فهو يدور في إطار التسخير والإلهام.

وبالجملة فإنّ الموحى إليهم يمكن حصرهم بسبعة أصناف ذكرهم القرآن وهو:

١- الأنبياء والرسل عموما، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾ (١)

٢- الملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...﴾ (٢)

(١) سورة النساء، الآيتان/ ١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢) سورة الأنفال، من الآية/ ١٢.

٣- الحواريين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾(١)

٤- البشر العاديين كأم موسى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيه﴾(٢)

٥- الوحي إلى الحيوانات، كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ...﴾ (٣)

٦- مظاهر الطبيعة من الجمادات وغيرها، كقوله تعالى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها ..﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها﴾ (٥)

وسنقسّم المبحثَ الى مطلبيْن: الوحي الى العاقل والى غير العاقل.

المطلب الأول: الوحيُ الى العاقل من المخلوقات:

وهم أصناف:

أولاً: الملائكة: قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ..﴾ (٦) والملائكة جمع مَلَك وقد ورد هذا اللفظ بلغة العرب قبل الإسلام مهموزاً « ملأك« فقال شاعرهم:

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَلأَكًا ... إِنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَانْتِظَارِي (٧)

---

(١) سورة المائدة، من الآية/ ١١١.

(٢) سورة القصص، من الآية/ ٧.

(٣) سورة النحل، من الآية/ ٦٨.

(٤) سورة فصلت، الآية/ ١٢.

(٥) سورة الزلزلة، الآيتان/ ٤ - ٥.

(٦) سورة الأنفال، من الآية/ ١٢.

(٧) البيت من الرمَل، قافية الياء، وهو لعدي بن زيد في ديوانه،ص/ ٩٣. ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م:

فأصل الملك الرسالة كما هو مفهوم من البيت، ومن هنا سُميَ الملائكة رسل الله، واختُلِف فيهم هل كلهم رُسُلاً؟ يترجح أنهم ليسوا كلهم رسُلاً ؛لقوله تعالى: ﴿ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [1] فلو كانوا جميعا رسلا لكانوا جميعا مصطفين؛ لأنّ الرسول لا يكون إلا بالاصطفاء. [2]

وبالإمكان الجمع بين الرأيين القائِلَيْن بكونهم رسلاً أو لا، ذلك أنّ الخلاف منحصرٌ في خصوص وعموم معنى الرسالة، فالقائلون برسالة بعضهم دون بعض فهموا من الرسالة والإرسال معنىً خاصاً ينحصر بما كان إرسالاً لهم بالوحي والتشريع إلى الأنبياء (عليهم السلام).

بالمقابل فهم الآخرون المعنى العام للرسالة في كونهم وسائط بينه تعالى وبين خلقه عموما في تنفيذ الأوامر الإلهية.

ومُستَنَد التوفيق بين الرأيَيْن الآيات الكريمة نفسها فقد عبرت عنهم بلفظ الرسل في مواضع عديدة بغض النظر عن كون إرسالهم إلى الأنبياء أو في وظائف أخرى. قال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنا يَكْتُبُونَ ما تَمْكُرُونَ ..﴾ [3] وقال تعالى: ﴿.. حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا ..﴾ [4]

والذي يهمنا هنا هو الكيفية التي تستلم الملائكة بها الوحي وطريق توصيله..

ففي قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي

٣/ ٤١٦.

(١) سورة الحج، من الآية/ ٧٥.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، للطوسي- أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، مكتبة الأمين، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٥٧ م: ١/ ١٣٠.

(٣) سورة يونس، من الآية/ ٢١.

(٤) سورة الأنعام، من الآية/ ٦١.

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [1] يظهر من محاولات المفسرين تفسير هذه الآية والكيفية التي يوحي بها تعالى إلى الملائكة أنهم يلجئون إلى العمومات دون أن يدخلوا في التفاصيل المحتملة لذلك، قال ابن عطية: « وحي الله إلى الملائكة إما بإلهام أو بإرسال بعض إلى بعض، وقرأ عيسى بن عمر بخلاف عنه «إني معكم» بكسر الألف على استئناف إيجاب القصة، وقرأ جمهور الناس «أني« بفتح الألف على أنها معمولة ل يُوحِي، ووجه الكسر أن الوحي في معنى القول، وقوله فَثَبِّتُوا يحتمل أن يكون بالقتال معهم على ما روي، ويحتمل بالحضور في حيزهم والتأنيس لهم بذلك، ويحتمل أنّ يريد: فثبوتهم بأقوال مؤنسة مقوية للقلب»[2]

ويذهب الراغب الأصفهاني في تفسير وإنْ ذكره بصيغة التضعيف- يعتمد خصوصية عالم الملائكة، فيرى أنّ الوحي إليهم كان (بواسطة اللوح والقلم) [3]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [4]

ونميل الى أنّ القول هنا يكون بكلام مباشر منه تعالى إلى الملائكة يمكن تشبيهه بما كان لموسى عليه السلام والذي يرجّح هذا الرأي أن خصوصية هذا التكليم بموسى عليه السلام وحده

---

(١) سورة الأنفال، من الآية/ ١٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية- أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م: ٢/ ٥٠٧، وقريب منه ما ورد في زاد المسير في علم التفسير(تفسير ابن الجوزي)، لابن الجوزي - أبي الفرج عبد الرحمن بن علي(ت: ٥٩٧هـ) ،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م: ٢/ ١٩٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني- أبي القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت: ٣/ ٩٢.

(٤) سورة البقرة، من الآية/ ٣٤.

كانت بالنسبة إلى الناس دون باقي أجناس الموجودات. إذ قال تعالى: ﴿.. يا مُوسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسالاتِي وَبِكَلامِي ..﴾ (١) (٢)

ثانياً: البشر العاديين، وهم أصناف:

١ – الى الحواريين: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾ (٣)

الحواريّون، لغةً: جمع حواريّ، وهم الأنصارُ، وخاصّةُ أصحاب الرجل. (٤)

او هم: الَّذين أُخلِصُوا ونُقُّوا عَن كُلِّ عَيْب. (٥)

وهو نفس المعنى الاصطلاحي، إلا أنّ القرآن أطلقهم على أصحاب عيسى عليه السلام (٦)

وانقسم المفسّرون في مفهوم الوحي الملقى الى الحواريين على رأيين:

الرأي الأول: أنّ الوحيَ هنا بالإلهام والألقاء، فقوله تعالى: ﴿أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوارِيِّينَ﴾ أي؛ ألقيتُ في قلوبِهم وليس من وحيِ النبوة إنّما هو أمرت (٧)

---

(١) سورة الأعراف، من الآية/ ١٤٤.

(٢) أشار الإمام الرازي الى هذا المعنى في تفسيره: ١٤/ ٣٥٩.

(٣) سورة المائدة، الآية/ ١١١.

(٤) تهذيب اللغة: ٥/ ١٤٨.

(٥) لسان العرب، لابن منظور-أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مادة (حور): ٤/ ٢١٧، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي- أبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) دار الهداية، دمشق: ١١/ ١٠٣.

(٦) المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء(إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م: ١/ ٢٠٥.

(٧) مجاز القرآن، لأبي عبيدة- أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: ٢٠٩هـ)تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى القاهرة ،ط٢، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م: ١/ ١٨٢.

وقال آخرون: أوحيت هنا: ألقيتُ إليهم بالآياتِ التي أريتَهم إيّاها [١]

وذهب الألكثرون إلى تحديد هذا الإلقاء أكثر فقالوا: إنّه كان على سبيل الإلهام والقذف، وبه الفخر الرازي والقرطبي ... وغيرهم [٢]

الرأي الثاني: إنّ الألقاء لم يكن مباشراً وإنما عن طريق أنبيائهم، فكان الأنبياء هم الواسطة بينهم وبين الله تعالى، والهدف من هذا الكلام واضح وهو إبعاد صفة النبوة التي قد تضاف إلى الحواريين بسبب تعبير الآية عما ألقي إليهم بالوحي.

ومن القائلين بهذا الرأي، الراغب الاصفهاني الذي قال «إن ذلك وحي بوساطة عيسى عليه السلام»[٣]، في حين يرى الزمخشري أنّ ذلك كان أمرا لهم على ألسنة الرسل، [٤] بينما اكتفى الكثيرون بالقول: إنّ معنى (أوحيت): أمرتهم أو بيّنت لهم نقل ذلك، كالزجاجي، [٥] والقرطبي. [٦]

ولا نغفل ما قال به بعض الصوفية كمالك بن نبي في معنى الوحي للحواريين بأنه: «يأخذ معنى كلام عادي موجه إليهم»[٧] وهو إنما قال ذلك مستفيداً من إجابتهم نفسها

---

(١) التبيان، للطوسي: ٤/ ٥٧.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب: ١١/ ١١٠، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م: ٦/ ٣٦٣، وبه قال الطوسي في التبيان: ٧/ ٣٦٣.

(٣) المفردات: ص/ ٥١٦.

(٤) ينظر: الكشاف، للزمخشري- أبي القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) مكتبة الهلال، بيروت ،ط١ ،١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م :١/ ٦٣٥.

(٥) تهذيب اللغة: ٥/ ٢٩٦.

(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٣٦٣.

(٧) الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي(ت:١٩٧٣م)، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت: ص/ ١٧١.

التي يرى أنها تجسم هذا القول بما تدل عليه من يقين إدراكي ناتج بأكمله عن الوحي.

ومع أنّ البعض اعتبر الوحي الى غير الأنبياء أمراً مقبولاً [١] مشيرين الى عموم آية الشورى المبينة لطرق تكليمه تعالى، إذ لم يخصص هذا التكليم بالأنبياء وحدهم من دون البشر، إلا أننا نستبعد هذا الأمر ونميل الى القول بأنّ الوحي الى الحواريين كان عن طريق عيسى عليه السلام.

٢- الوحي الى النساء: مريم(عليها السلام) وزوجة إبراهيم وأم موسى.

لا يوجد في القرآن الكريم نصٌ صريحٌ على الوحي إلى النساء بصيغة الوحي المعروفة إلا حالة واحدة هي الوحي إلى أم موسى، فقد ذُكرت في أكثر من موضع[٢] إلا أنّ من المفسرين من يذهب إلى أنّ نزول الملائكة على مريم (عليها السلام) وما خصت به من محاورتهم ما يقترب من أن يكون وحياً كاملا ألقيَ عليها إنْ لم يكن أعلى مرتبة مما كان لأم موسى لتوافره على رؤيتهم وخطابهم مما لم يثبت يقينا لأم موسى. [٣]

---

(١) منهم محمد عبده الذي قال: « أما أرباب النفوس العالية والعقول السامية من العرفاء ممن لم تدن مراتبهم من مراتب الأنبياء، ولكنهم رضوا أن يكونوا لهم أولياء وعلى شرعهم ودعوتهم أمناء، فكثير منهم نال حظه من الأنس بما يقارب تلك الحال في النوع والجنس لهم مشارفة في بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع ..« الأعمال الكاملة، محمد عبده(ت:١٩٠٥م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢ م: ٣/ ٤١٨.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ سورة القصص، من الآية/ ٧.

(٣) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية/ ٤٤، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ سورة مريم، الآيات/ ١٦-٢٠.

وقياساً على هذا الكلام يضاف الى المرأتين السيدة سارة زوجة إبراهيم عليه السلام وقد خاطبتها الملائكة صراحةً وبشرتها بالولد، قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ (١)

فالوحي للنساء واقعٌ لا محالة وبصورة من صور الوحي التي قالت بها كتب اللغة والاصطلاح، ويمكن إجمال طرقه بما يأتي:

١- أن يكون بنفس صورة الوحي الملقى إلى الأنبياء، وهو ما رويَ عن ابن عباس (رضي الله عنهما الذي قال: كالوحي إلى النبيين (٢) ، وإن لم يحدد لذلك طريقة خاصة.

وأيد هذا القول مقاتل ما ذهب إليه ابن عباس، وعيّن طريقة ذلك الوحي بأنه كان إعلاما من قبل جبريل عليه السلام(٣)، وإليه ذهب الزجاج والأزهري أيضا (٤) .

بالمقابل ذهب قتادة إلى أن الوحي كان بواسطة مَلَك غير جبريل عليه السلام أما الزمخشري فقد أبعد أن يكون ذلك على سبيل النبوة لها (٥). وهذا وجه من وجوه تفسير الآية عنده. وإجمال هذه الأقوال أنها تذهب إلى أن هذا الوحي كان بواسطة نزول الملك على أم موسى.

٢- إنّ الوحي إليها كان إلهاما وقذفا في القلب، وبه قال قتادة وقال به أكثر المفسرين. (٦)

---

(١) سورة هود، الآية/ ٧٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١١ / ١٩٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٣ / ٢٥٠.

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٥ / ٢٩٧.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٣ / ٢٥، والكشاف: ٢ / ٥٣٦.

(٦) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي- أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت: ٢/ ٥٩٩، والمحرر الوجيز: ٤/ ٢٧٦، وفتح القدير، للشوكاني-أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠ هـ) تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر،

أما طريقة الإلهام فكانت ب«الرؤيا» أو«الإلقاء في الرَوْع» وبه قال بعض المفسرين. (١)

وأيّد قدامة بن جعفر كون ذلك الوحي عن طريق الرؤيا الصحيحة (٢).

٣- أو يكون ذلك بواسطة نبي كان في زمانها، وهذا الوجه هو الأقرب للمراد عند القاضي عبد الجبار (٣) والزمخشري (٤) الذي شبهه بما كان من الوحي للحواريين.

والذي يبدو لي رجحانه هو قولُ من قال أنّ الإيحاء تمّ بواسطة مَلَك غير جبريل، فليس من المعقول أنْ تصدّق الأمّ إلهاماً مهما كان صدقها وإيمانها فتضع ابنها في صندوق وترميه البحر، بل كانت واثقة مما تفعل وهذه الثقة مصدرها شيئاً ملموساً لا إلهاماً.

أما ما يخصّ مريم (عليها السلام) فالأمرُ يختلفُ فقد ذكرت الآيات«ملائكة« بصفة الجمع و«روحنا« بصفة المفرد، ويرى الكثير من المفسّرين- وهو ما نميل إليه- أنّ ذِكر الملائكة بصفة الجمع يُرجح كون المرسَل هو جبريل عليه السلام وإنما ذُكر بصفة الجمع تعظيماً له، ونقل مثلُ هذا القول عن الطبري، والزمخشري، والرازي في تفاسيرهم. (٥)

ويشار الى أنّ «التمثل« الذي ورد في صورة المَلَك عند إرساله لمريم لا يعني تحوّل

دمشق: ٤/ ٦٢٤.

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٨/ ٢١٧، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة- أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، مطبعة الدكتور حسن عباس زكي ،القاهرة، ط١: ١٤١٩ هـ: ٥/ ٢٣٠.

(٢) المفردات: ص/ ٥١٥، والجامع لأحكام القرآن: ١١ / ١٩٥.

(٣) ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار المعتزلي: أبو الحسن عماد الدين (ت ٤١٥ هـ)، دار النهضة الحديثة، بيروت: ص/ ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٤) الكشاف: ٢/ ٥٣٦.

(٥) ينظر: جامع البيان: ١٦/ ٤٧، والكشاف: ٢/ ٥٠٥، ومفاتيح الغيب: ٢١/ ٩٧.

المَلَك من صورته الملكية الى البشرية، وهذا في الحقيقة يؤكّد قولنا أنّ الملائكة لا يأتون بصورتهم الحقيقية بل بهيئة البشر ؛وذلك تطميناً واستئناساً لقلب الموحى إليه، والله أعلم.[1]

كما يُشار الى أنه لا يعني ذلك أن المرأة ممكن أن تكون نبية بمجرّد إرسال المَلَك إليها،[2] فالثابت وما عليه شِبْه إجماع أنّ النبوّة من اختصاص الرجال؛ لقوله تعالى: ﴿وَما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[3][4]

أما القرطبي (رحمه الله) فقد قال بنبوة مريم (عليها السلام) فقط وأنه تم الوحيُ إليها كما أوحى الى النبيين فقد كُلّفت بالبشارة والإخبار.[5]

المطلب الثاني: الوحيُ الى غير العاقل من المخلوقات:

أولاً: الوحي الى الحيوانات

لم يعبر في القرآن الكريم بصيغة الوحي إلى شيء من الحيوانات إلا ما كان للنحل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[6]، أما التعميم بالوحي

---

(١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٥٠٥.

(٢) ممن شذّ عن الإجماع وقال بنبوة النساء ابن حزم. ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم- أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة: ٤/ ١١، ٥/ ١٧.

(٣) سورة الأنبياء، الآية/ ٧.

(٤) ينظر: تنزيه القرآن: ص/ ٣٠٧، والكشاف: ٢/ ٥٣٦، ومفاتيح الغيب: ٨/ ٤٧.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ٨٢.

(٦) سورة النحل، الآيتان/ ٦٨ - ٦٩.

الى الحيوانات فلورود إشارات تدلّ على صدور أفعال فطرية لبعض الحيوانات التي وردت أسماؤها في القرآن.

أما الوحي إلى النحل فقد أرجعه المفسّرون إلى عدة معان نذكرها على سبيل الإجمال:

١- الإلهام: وهو ما قال به أكثر المفسرين، وعبروا عنه بعدة صيغ هي :

أ- الإلهام. وقال به الزجاج، [١] وابن العربي، [٢] والرازي، [٣] وهو رأي أغلب أهل اللغة وعلى رأسهم الخليل الفراهيدي فقال: «أوحى ربك إلى النحل ألهمها، وأوحى لها معناه: أوحى إليها في معنى الأمر» [٤] وهو ما قال به أبو عبيدة أيضا[٥] [٣].

ب- الإلقاء في النفس أو القذف. وبه قال الطبري، [٦] الزمخشري. [٧]

---

(١) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، للواحدي- أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)،تحقيق ونشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، ط١، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠١٠م: ٥/ ٢٥١.

(٢) أحكام القرآن، لابن العربي- أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري (ت: ٥٤٣ هـ) دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م: ٣/ ١٣٦، وفسّر الإلهام بأنه: « هو ما يخلقه الله في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر».

(٣) مفاتيح الغيب: ٢٠/ ٢٣٦، وفسّر افلهام بأنه: « والمراد من الإلهام أنه تعالى قرر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر» .

(٤) العين، للفراهيدي- أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو(ت: ١٧٠هـ)، تحقيق د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال،الرياض: ٣ / ٣٢٠.

(٥) ينظر: التبيان: ٦ / ٤٠٣.

(٦) جامع البيان: ٦/ ٤٠٥، وقال: « بمعنى: ألقى ذلك إليها فألهمها» .

(٧) الكشاف: ٣/ ٦٢، وقال: « لأن الوحى بمعنى القول. القذف مستعمل في معنى الإلقاء والوضع» .

ج- الأمر. وبه قال ابن الجوزي، [1] وابن عاشور. [2]

د- الغريزة: فما يلاحظ عليها من عجيب الأفعال في مختلف شئون حياتها يمكن أنْ يُعبّر عنه بالغريزة التي تخفى عن غيرها وبسبب هذا الخفاء المتمثل فيها عبر عنها في القرآن الكريم بالوحي. قال الحسن البصري: جعل ذلك غرائز بها يخفى مثله عن غيرها [3].

ويفهم بعض المفسرين المحدثين هذا المعنى من خلال ربطه بالإلهام، فهم يعبرون عما كان من الوحي للنحل وما شابهه في عجيب تصرف سائر الحيوان ب (الإلهام الغريزي) [4].

ويمكن ربط كل ما تقوم به الحيوانات وتسير بهديه وتتصرف على أساسه هو الغريزة بمفهومها العام الظاهر في سلوك الحيوان، فهي لا تتأتى بالتعلم والاكتساب أو المحاكاة والاختيار، وهي أساس المحافظة على نفسها ووسيلة حصولها على غذائها ومحور أفعالها وبقاء نوعها [5].

والحقّ أنّ هذا ما يبدو رجحانه فغير العاقل غير العاقل في معنى الوحي الإلهي.

ثانياً: الوحي الى الجمادات:

---

(١) زاد المسير: ٢/ ٥٦٩، وقال: « أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس« .

(٢) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)،لابن عاشور- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس،ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ هـ: ٣٠/ ٤٩٣.

(٣) ينظر: مجمع البيان، للطبرسي- أبي علي الفضل بن الحسن(ت:٥٤٨هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩م: ٣/ ٣٧١.

(٤) ينظر: القرآن والتفسير: ص/ ١٠.

(٥) ينظر: طبائع الأحياء، عبد الحسين الحسون، مطبعة الآداب، النجف،ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م: ص/ ١٤.

يحكم معنى الوحي الى الجمادات معنى واحد وهو التسخير، وهو السياق الى المطلوب قهراً، فالمسخَّر هو المقيّض للفعل الذي يُقهَر فيتسخر بإرادته. (١)

وهذا المعنى هو الذي أكّده القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ..﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَلا دِماؤُها وَلكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلى ما هَداكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤) ولو نظرنا الى مجمل الآراء والتفسيرات، نجدها تصبّ في معنى واحد وهو التسخير والإلزام.

فقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَهَا﴾ (٥) قال الطبري: «عن إسماعيل بن عبد الملك، قال: سمعت سعيد بن جبير يقرأ في المغرب مرة: (يَوْمَئِذٍ تُنَبِّئُ أَخْبَارَها) ومرة: (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)، فكأن معنى تحدّث كان عند سعيد: تُنَبِّئُ، وتنبيئها أخبَارَهَا: إخراجها أثقالها من بطنها إلى ظهرها»(٦)

وقال ابن عطية: «الوحي في كلام العرب إلقاء المعنى إلقاء خفيا، وقال بعض المتأولين: أَوْحى لَها معناه: أَوْحى إلى ملائكته المصرفين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال، وقوله تعالى: لَها بمعنى: من أجلها ومن حيث الأفعال فيها فهي لها»(٧)

وهناك اتجاه يرى أصحابه أن الأرض تتحدّث حقيقةً، وأن كلامها حقيقي، عن ابن

(١) ينظر: المفردات: ص/ ٥١٥.
(٢) سورة الجاثية، الآية/ ١٣.
(٣) سورة إبراهيم، من الآية/ ٣٣.
(٤) سورة الحج، من الآية/ ٣٧.
(٥) سورة الزلزلة، الآيتان/ ٤-٥.
(٦) جامع البيان: ٢٤/ ٥٤٨، وينظر: الكشاف: ٤/ ٧٨٤.
(٧) المحرر الوجيز: ٥/ ٥١١.

عباس وابن مسعود (رضي الله عنهما): إنّ تحديث الأرض هو «أنْ تتكلم وتقول: إنّ الله أَمَرَني بهذا وأوْحَى إليّ به وأذِنَ لي فيه» [1]

ويؤكّد هذا القول ما ورد في الحديث عنه ﷺ أنه قال: « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ » قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: « فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ: عَمِلْتَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا »، قَالَ: « فَهُوَ أَخْبَارُهَا» [2]

وبنفس المعاني ما ورد في وحيه ﷻ للسماء، قال تعالى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحى فِي كُلِّ سَماءٍ أَمْرَها﴾ [3] إضافة إلى ما قيل من آراء وتفسيرات في معنى الوحي إلى الأرض مما ينطبق في كثير من جوانبه على الوحي إلى السماء فقال الراغب الأصبهاني: « يحمل الأقوال في الوحي إلى السماء في قولين هما :

الأول: إن المراد منه الوحي إلى أهل السماء خصوصا وهم الملائكة لأنّهم أهلُ السماء، فكان هذا الرأي يحاول أن يربط ذلك بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ ..﴾ [4]

الثاني: إنّ الوحي إلى السماوات على الخصوص فيكون فيه رأيان :

إنه تسخير عند من قال إن السماء غير حيّ (ليست حية).

أو أنه نطق، عند من جعلها حية»[5]

---

(١) جامع البيان: ٢٤/ ٥٤٨.

(٢) الجامع الصحيح، للترمذي- أبي عيسى محمد بن عيسى (ت:٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م، بَابُ مَا جَاءَ فِي العَرْضِ: ٤/ ١٩٧، برقم (٢٤٢٩) عن أبي هريرة (□).

قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) سورة فصلت، من الآية/ ١٢.

(٤) سورة الأنفال، من الآية/ ١٢.

(٥) المفردات: ص/ ٥١٦.

ونستخلص مما سبق أنّ الوحي إلى مظاهر الطبيعة أنّ التفسيرات غالبا ورغم تعددها تحاول الوصول إلى أنّ هذا الوحي يتمثل في التسخير لتلك المظاهر بمعنى تذليلها وجعل سيرها بمقتضى أوامره تعالى فيها، والله تعالى أعلم.

الخاتمة

كان موضوع بحثنا حول « الوحي لغير الأنبياء« وما يتعلق به من أحكام وتفسيرات وبيّنا اختلاف المفسرين في تفاسيرهم لتحديد معنى هذا الوحي، ومن أهم نتائج البحث:

١- التعريف الشرعي للوحي منحدر عن الأصل اللغوي في خصوصية الإسرار والإعلام السريع وما يصاحب ذلك من الإشارة والرمز اللذين يخفيان على الآخرين.

٢- الوحي على نوعين إما الوحي للعاقل وهم صنفان الأنبياء والملائكة.

٣- الوحي الى الأنبياء له صورة من الصور الثلاثة التي ذكرتها آية الشورى، وهي: عن طريق الملك، أو الكلام من وراء حجاب أو إلهاما.

٤- تبيّن لنا أنّ لفظ الوحي يحتمل معنيان: وحياً وإيحاءً فما يختص بما يلقى إلى الأنبياء عليهم السلام هو الوحي، وما عداهم إيحاء.

٥- اختلف المفسرون في مسألة الوحي الى النساء وفي نبوّتهن ورجحنا القول بأنّ الوحيَ كان عن طريق ملَك تمثل بهيئة آدمي.

٦- أما الوحي الى الجمادات الأرض والسماء فينحصر بمعنى واحد وهو التسخير- .

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١- الأعمال الكاملة، محمد عبده(ت:١٩٠٥م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٢ م.

٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٥، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

٣- بحر العلوم، للسمرقندي- أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٤- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، لابن عجيبة- أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، مطبعة الدكتور حسن عباس زكي ،القاهرة، ط١: ١٤١٩ هـ.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي- أبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني(ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) دار الهداية، دمشق.

٦- تاريخ القرآن، د. محمد حسين الصغير، الدار العالمية للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٧- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي- أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: أحمد حبيب العاملي، مكتبة الأمين، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٦٧ هـ/ ١٩٥٧ م.

٨- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)،لابن عاشور- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر، تونس،ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤ هـ.

٩- التَّفْسِيرُ البَسِيْط، للواحدي- أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)،تحقيق ونشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.، ط١، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠١٠م.

١٠- تهذيب اللغة، للأزهري- أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠ هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة المؤسسة المصرية العامة، ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م.

١١- تنزيه القرآن عن المطاعن، القاضي عبد الجبار المعتزلي: أبو الحسن عماد الدين (ت ٤١٥ ه)، دار النهضة الحديثة، بيروت.

١٢- الجامع الصحيح، للترمذي- أبي عيسى محمد بن عيسى (ت:٢٧٩ هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م.

١٣- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٦٧١ هـ)، تحقيق أحمد عبد الحليم البردوني، دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

١٤- زاد المسير في علم التفسير(تفسير ابن الجوزي)، لابن الجوزي - أبي الفرج عبد الرحمن بن علي(ت: ٥٩٧هـ) ،تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.

١٥- صفوة التفاسير، للصابوني- محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

١٦- طبائع الأحياء، عبد الحسين الحسون، مطبعة الآداب، النجف،ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

١٧- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي(ت:١٩٧٣م)، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت.

١٨- فتح القدير، للشوكاني-أبي عبدالله محمد بن علي بن محمد (ت: ١٢٥٠ هـ) تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، دمشق.

١٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم- أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة.

٢٠- القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٩ م.

٢١- القرآن والتفسير، د. عبد الله محمود شحاته ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م.

٢٢- الكشاف، للزمخشري- أبي القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) مكتبة الهلال، بيروت ،ط١ ،١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٢٣- الكليات، للكفوي- أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت: ١٠٩٤ هـ)،تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩ م.

٢٤- لسان العرب، لابن منظور-أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت: ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٥- مجاز القرآن، لأبي عبيدة- أبي عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: ٢٠٩هـ) تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى القاهرة ،ط٢، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦١م.

٢٦- مجمع البيان، للطبرسي- أبي علي الفضل بن الحسن(ت:٥٤٨هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩م.

٢٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية- أبي محمد عبد الحق بن

غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٨- مختار الصحاح، للرازي-محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت: ٦٦٠ هـ) تحقيق: محمود خاطر، مكتبة ناشرون، بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.

٢٩- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعه جي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس، الظهران، ط ١، ١٤٠٤ ه/ ١٩٨٤ م.

٣٠- المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٣١- المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء(إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٣٢- مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير (تفسير الرازي) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٣٣- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني- أبي القاسم الحسين بن محمد (ت: ٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٣٤- نبوة محمد في القرآن، حسن ضياء الدين عتر، دار النصر، حلب، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٣٥- الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا(ت:١٩٣٥م)، دار المنار، القاهرة، ط١/ ١٣٦٧هـ.